

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مؤسسة البيت الكبير للفكر الإسلامي



## المؤتمر العام الخامس عشر لآكارمة آل البيت الملكية

١٨-٢٠ شوال ١٤٣١هـ الموافق ٢٧-٢٩ أيلول / سبتمبر ٢٠١٠م

البيئة في الإسلام

النمل والإنسان والجند

الأستاذ الدكتور عبد الكريم

غرايبة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

موسى بن عبد الله بن محمد بن الفخر الإسلامى  
عمان - المملكة العربية العمانية



# أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

## بسم الله الرحمن الرحيم

### النمل والإنسان والجند

اعتدت أن أبدأ بالبسملة وأتوقف عندها، وخفت دوماً من الجند الذين يحرسوننا ويحموننا من جند العدو الذي يهددنا. واستخدمت كلمة أتراك وترك إشارة إلى الجند، لأنّ الجند العربي كانوا متسلطين على أكثر الأقطار العربيّة؛ لذا فضّلت استعمال كلمة أتراك بدلاً من الجند والعسكر. ولكن سفينة مرمرة حولت الأتراك في نظر الكثيرين ونظري إلى أعضاء في رابطة بني الإنسان يعرفون معنى الرّحمة والحقّ والعدالة ويتّقون الله.

واعتمدتُ على آيات من الذكر الحكيم وتفسير المفسّرين وأقوال فقهاء الدّين واللّسان. وأثار اهتمامي آيات من سورة مدنيّة واحدة وخمس مكّيّة تشير إلى الحيوانات بالإضافة إلى سور أخرى تتحدّث عن الإنسان [السور: 26، 76، 114]. وورد ذكر الجند والجنود في [17] سورة و [27] آية كريمة كلها مكّيّة باستثناء السور [2، 76]. هذه السور هي [2 (مدنية)، 6، 16، 21، 26، 27، 76 (مدنية)، 105، 106، 114].

وعدت إلى السور والآيات التالية:

السورة	رقمها	عدد الآيات	مكّيّة/ مدنيّة	الآيات التي تشير إلى الجند
البقرة	2	286	مدنيّة	250، 249
الأنعام	6	165	مكّيّة	
التوبة	9	129	مكّيّة	40، 26
يونس	10	109	مكّيّة	90

75	مكيّة	98	19	مريم
78	مكيّة	135	20	طه
	مكيّة	112	21	الأنبياء
95	مكيّة	227	26	الشعراء
37، 18، 17	مكيّة	93	27	التمل
40، 39، 8، 6	مكيّة	88	28	القصص
9	مدنيّة	73	33	الأحزاب
75، 28	مكيّة	83	36	يس
173	مكيّة	182	37	الصفات
11	مكيّة	88	38	ص
24	مكيّة	59	44	الدخان
40	مكيّة	60	51	الدّاريات
31	مكيّة	56	74	المدثر
17	مكيّة	22	85	البروج
	مكيّة	5	105	الفيل
	مكيّة	4	106	قريش

وردت كلمة "جند" و "جنود" غالباً في صفة الجمع إلّا في سبع حالات، ولم تذكر كلمة "أجناد". أمّا كتب اللسان فمالت إلى إيرادها بصيغة المفرد. ويعرّف الفيروزآبادي الكلمة بأنها العسكر في حالة ضم أولها، وكذا الأعوان والمدينة وصنف من الخلق. أمّا بالفتح فهي الأرض الغليظة والحجارة التي تشبه الطين. ويعطي لسان العرب تفسيراً مماثلاً ويضيف إلى معانيها الجيش والحزب.

وتذكر كتب اللسان أنّ كلمتي "جند" و "عسكر" من أصل فارسي، إلّا أنّ "جند" كلمة قرآنيّة بينما لم يرد ذكر "العسكر" في القرآن الكريم. وذكر اللسان

أنّ الشّام خمسة أجناد كل واحد يسمّى جنداً، ويعني ذلك المقاتلة المسلمين المقيمين فيها. وأسّس العرب مدناً سمّوها معسكرات وأجناد وقطائع، واقتصرَت الأجناد أولاً على بلاد الشّام حيث عسكر الجند في المدن القديمة. ولم يؤسّس العرب في بلاد الشّام إلّا مدينة واحدة هي الرّملة، بينما أقاموا مائة معسكر وقطائع في باقي الأقطار بالإضافة إلى هجر نجد (بفتح الهاء)، وهجر اليمن بكسر الهاء. وأقاموا في المغرب العربي مراكز عسكريّة شابهت القطائع وأطلقوا عليها اسم أربطة أو زوايا. وحملت معسكرات الجند على الحدود السّاخنة اسم ثغور وعواصم.

وأطلق العرب على القوّات العسكريّة في كور الأندلس التّسع اسم مجنّدة الذين انضمّ إليهم حشود (متطوّعة) وحشم (مرتزقة أجنبي)، بينما انضمّ إليهم في المشرق شاكريّة ومتطوّعة.

ويتحدّث العثمانيون عن الأعوان وسمّوهم عوانية. وذكر رواة التّاريخ الأندلسي أسماء ثلاثة ثغور أندلسيّة رئيسيّة هي: الثغر الأعلى والأوسط والأدنى. واستخدمت كلمة جند إشارة إلى المدن الرّئيسيّة الكبرى التي حملت أيضاً اسم أمصار.

وأطلق المعتصم على الجند الذي أسكنهم قطائع القاطول (سامراء) من حوفي مصر اسم المغاربة، بينما سمّى مجموعة من سمرقند وأشروسنة وفرغانة الفراغنة.

ويتحدّث الرّواة عن العسكر والجيش. ولا يذكرون عن العسكر إلّا الأصل الفارسي للكلمة. وقالوا إنّها تدلّ على الكثير من كلّ شيء بالإضافة إلى نقيض ذلك من قلة وشدة وجذب وظلمة ليل. وتشير إلى مدينة سرّ من رأى التي كانت عسكر سامراء للمعتصم فحوّلها الواثق إلى مركز مدني.

وبرز إمام شيعي حمل لقباً عسكرياً نسبة إلى سامراء، فقد فرض الخليفة العاشر المتوكل على الله (847-861هـ) على الإمام العاشر أبي الحسن علي الهادي بن محمد الجواد (ت220هـ/ 835م) الإقامة في سامراء، وولد له في سامراء ولدان الحسن وجعفر، وخلفه ابنه الحسن العسكري بن علي (231هـ/ 846م-260هـ/ 874م) وحمل لقب العسكري نسبة إلى معسكر سامراء. وخلفه ابنه الإمام الثاني عشر محمد المنتظر الذي ولد 255هـ/ 869م وقيل إنه اختفى بعد خمسة أعوام فلقبه أتباعه بالإمام المنتظر صاحب الزمان والقائم بالأمر والحجة. ويبدو أن الاضطهاد لم يؤثر كثيراً على معارضي الدولة بل أدى إلى ازدياد الأنصار تعاطفاً وعقيدةً وتبعيةً.

ومع أن الموسوعة الإسلامية تخصص مقالاً طويلاً عن الجيش، فإن الكلمة تكاد تكون مهملة في المعاجم. وأشارت المعاجم إلى الخميس كناية عن الجيش لأنه خمس فرق. إلا أن جيش سليمان تألف حسب أقوال المفسرين من أربع مجموعات هي: الإنس والجن والوحوش والطير. إلا أن الآية الكريمة في سورة النمل تشير إلى الطير ولا تذكر الوحوش. وتجراً المفسرون على إضافة قوة الوحوش التي لم ترد في النص القرآني استناداً إلى حديث نبوي شريف جاء فيه: «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج وحدثوا عني ولا تكذبوا علي». فهل أجاز هذا الحديث في رأي البعض الخروج عن النص واحتمال الكذب! طبعاً لا لأن النبي ﷺ لا يأمر أبداً بالكذب على بني إسرائيل أو غيرهم. ولكن الرسول توقع من الرواة بل أمرهم بتوخي الدقة الشديدة في نسبة الكلام إليه. وقد لا تكون هذه الدقة ممكنة في حالات أخرى.

وتغيّرت مواقف الحكام من الجيش وإن استمرّ اهتمامهم به؛ اعتقدوا أنه يحميهم مع أن كل تهديد لهم أو لحياتهم جاء من الجيش. وحاول البعض التخلص

من الجيش القديم وإحلال جيش جديد محلّه. وقرّر السّلطان محمد الثالث بن عبد الله العلوي حلّ جيش البخاري الذي غير وقتل السّلاطين من أعمامه. وكذلك فعل السّلطان محمود الثاني العثماني بعد نصف قرن. وأصدر الخديوي توفيق باشا بن إسماعيل (1879-1892م) مرسوماً في 17 أيلول 1882م بحلّ الجيش المصري بعد الاحتلال البريطاني لمصر. وقرّر الحاكم المدني الأمريكي في العراق بعد سقوط الدّولة الوطنيّة حلّ الجيش العراقي في 23 أيار 2003م، وثارت تساؤلات كثيرة عن حلّ الجيش، ولكن حلّ الجيش في اليابان أدّى إلى انتعاش اليابان اقتصادياً وجعلها القوة الاقتصاديّة الثانية في العالم. كذلك انتعشت ألمانيا عندما كانت بدون جيش. وكان الجيش سبباً في كثير من المتاعب لمصر والعراق. وإذا لم يكن الجيش قادراً على حماية البلد من الأعداء الخارجيين فهل لوجوده ضرورة؟ وكانت مصر قبل قرن ونصف أرقى من اليابان ولكن الصّورة تغيّرت بعد ذلك بنصف قرن فهل للجيش علاقة بالأمر.

وتثير الآيات الكريمة من سورة النمل سؤالين أولهما حول أهميّة الطير قوةً عسكريّةً وثانيهما العلاقة بين النمل والجنود. وهل تشير الآية إلى حقائق ملموسة أم إلى عبرٍ وحكمةٍ وذكرى! وهل النّبيّ سليمان الذي ورد ذكره في القرآن الكريم بكثيرٍ من التقدير هو نفسه الذي ورد اسمه في توراة اليهود التي نقرأها ونعتقد أنّ اليهود قد حرّفوها؟ ويذكر أنّ سليمان الذي ورد اسمه في التّوراة لا يتمتع لدى اليهود وفي التّوراة باحترام كبير. وإنّ ما تحدّث به المسلمون عن خاتم سليمان قاله اليهود عن درع داود. واعتبر المسلمون سليمان رمزاً ونبيّاً مميّزاً يفهم كلام الحيوانات ويسمعه على بُعد فرائخ عديدة ينقله إليه الرّيح.

ويصعب اعتبار الطير قوةً عسكريّةً حسب المقاييس القديمة، إلّا إذا اعتبرناه رمزاً للقوة الجويّة السّائدة في عالم اليوم. وفسّر الفقهاء أهميّة الطير

بالإشارة إلى قدرة الهدهد على الاستشعار عن بُعد وهو أمر كثر في يومنا هذا الاهتمام به. وقيل إن الهدهد بارع بالاستطلاع عن بُعد ويرى ما تحت سطح الأرض من ماء فيساعد على استخراجه لإرواء الجيش بينما يعاني جيش العدو من العطش. وقيل إن الطير "نُظِل الجنود فوقهم". ويروي الفقهاء والمفسرون أنّ سليمان "عطش ذات يوم فطلب الماء فسأل عنه الجن والإنس فلم يعلموا بمكانه فتفقد الطير فلم يجدوا الهدهد". وعاد الهدهد ليحدث سليمان عن مبررات غيابه ويذكر نبأ ملكة سبأ. وبلغ من أهمية الهدهد أنّ دائرة مخبرات هامة ومتميزة في العالم العربي جعلته رمزاً لها.

وأخطأ الرواة في حديثهم عن ملكة سبأ التي أطلقوا عليها الاسم اليوناني القبيح المعنى (بلقيس). ولم يرد ذكر لبلقيس في الكتب المقدسة: التوراة، الإنجيل والقرآن الكريم. وقد أمكن لعلماء الآثار وضع قائمة بأسماء ملوك سبأ في اليمن. ولا تحوي القائمة اسماً لملكة ولا لبلقيس. وذكر الكتاب الكريم سدّ العرم - والعرم لغوياً هو السدّ - الذي أحدث دماراً في اليمن، ولكن الجزيرة العربية مملأى بالسدود الترابية القديمة التي لا يقتصر وجودها على اليمن. ولا على سدّ مأرب الذي أعيد ترميمه على نفقة دولة الإمارات العربية. وهو ليس كبيراً جداً كما صورته الرواة. وقد بنت الدولة السعودية سدوداً أكبر منه لا يتحدث كثيرون عنها. وقد وصلنا أقدم نقش عربي يؤرخ سدّ فاطمة قرب الطائف الذي أُقيم بأمر معاوية بن أبي سفيان حوالي منتصف القرن الهجري الأوّل. وقد لا يكون بأهمية سدّ مأرب. ولكن يكفي أن يدرك كلّ عربي أنّ أقدم كتابة عربية وصلتنا كانت على سدّ ممّا يدلّ على أهمية السدود عند العرب القدماء. طبعاً كانت السدود القديمة سدوداً ترابية أُقيمت لهدفين هما الحماية من الفيضانات التي تسببها الأمطار المفاجئة، والهدف الثاني هو توفير الماء للشرب والرّي. ويذكر ابن بشر عشرات السدود التي أمر السعوديون بهدمها عقاباً لقرى متمردة.



ولكن حديث النمل أكثر تأثيراً في النفس ويثير فيها الرعب والخوف ويصنع للإنسانية مساراً فيه سعادة للبشرية لو اقتبسته وعملت به. فقد قالت نملة: [ يَتَأْتِيهَا النَّمْلُ أَدْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا تَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَنُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ ] فَتَبَسَّ صَاحِجًا مِّن قَوْلِهَا [ النمل: 18-19]. وقال المفسرون: "لا يتكلم أحد من الخلائق بشيء إلا جاء الريح فيخبره". وتحدثت النملة ومملكة سبأ عن جيش سليمان حديثاً موجعاً لم ينفه سليمان ولم يستنكره لأنه صفة لكل الجيوش في كل زمان ومكان حتى وإن كان قائدها من الأنبياء. قالت النملة: [ لَا تَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَنُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ] [ النمل: 18]. وردت السبأية على نصائح مستشاريها بقولها: [ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ۗ وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ] [ النمل: 34]. ولم تقصد شخص الملك لأنها هي نفسها ملكة ولكن أرادت أن تصف الجيوش التي يقودها عادة الملوك. ولم يخف النبي سليمان ٥ ما يمكن أن يفعله جيشه إذ هددها: [ جُنُودٍ لَّا قَبْلَ لَهُم بِهَا وَنُخْرِجَهُمْ مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ] [ النمل: 37]. ويصور لنا قول سليمان ما يمكن أن يفعله الجنود بالناس الذين هم كالنمل يحطمونهم وما يملكون ويجعلون أعزتهم أذلة يسجنون ويحاكمون ويهزأ بهم.

إن من حمل السلاح وامتنع مهنة القتل والنهب والسلب يصبح تلقائياً عدواً للإنسانية. ولا فرق في ذلك بين من عمل تحت راية رسمية أو كان خارجاً على القانون الذي وضعه الرّسميون. والأوّل أخطر على الإنسانية لأنه يقتل دون إحساس بوخز ضمير أو ندم لأنه أقنع نفسه بأنه يعمل في حدود القانون الذي وضعه. ويتوقع من الشعوب أن تمجّد عمله وتُقيم له التماثيل وأقواس النّصر اعترافاً بقدرته على القتل وإيماناً بإتقانه عمله الدّموي. فقد نجح في تحطيم الخصم وجعل أعزة البلد المقهور أذلة يقدّمهم إلى المحاكم عقاباً لهم على عجزهم عن إلحاق هزيمة به. وحدث في أماكن كثيرة وأزمنة مختلفة أن نجح

الخارج على القانون في قهر خصمه وقانونه وعكس الآية. وأصبح من كان  
شرعياً في صفّ الخارجين على القانون مجرمًا وقاتلاً تجب محاكمته وإعدامه.  
ورغم تغيّر العالم وتحوُّله إلى قرية صغيرة تصلنا أخبارها فور حدوثها.  
ورغم قوّة الإعلام ونقله للوقائع والأحداث حال حدوثها متحيّزاً أحياناً وبدقة  
مثيرة ومفزعة أحياناً أخرى، فإنّ القتل ما زالوا يرتكبون المجازر والجرائم  
الأخرى ويحطّمون البشر "النمل" بحجّة مكافحة الإرهاب أو الدّفاع عن النّفس  
أو استباق القتل. ولم يقل أحد من المجرمين الرّسميين أو ضحاياهم من النمل أنّ  
القتل والتّحطيم محرّمان. وتصدر بلاغات رسميّة عن الأجهزة الديموقراطيّة  
مفتخرة بعدد القتلى من المتهمين بالتّخطيط للقتل لذا تمّت إبادتهم استباقاً. ألا  
يشعر أحد أنّ حياة الإنسان ثمينة يتوجّب صونها وحمايتها وأن ليس في الوجود  
شيء اسمه القتل المُبرّر. وليس من حقّ الإنسان بمفرده أو بواسطة المؤسّسات  
والمنظّمات التي أقامها أن يتسبّب بقتل إنسان حتى لو ثبت إجرامه! ألا يشعر  
الإنسان أن ليس من حقّ أحد ولا من حقّ المحاكم الأمر بالإعدام أو القتل أو  
إباحة ذلك! وليس المهمّ أن نعاقب المجرمين بل الأهم أن نحمي الأبناء والأحفاد  
والأطفال من التفكير بجواز القتل مهما كانت مبرّرات ذلك. ويمكن دائماً اختراع  
مبرّرات. وكل قتل غير مبرّر. ولا يجوز اعتبار القاتل بطلاً مفوضاً بالقتل، قتل  
أعداءه أو أعداء الأُمّة أو أعداء العقيدة، إلّا إذا قبلنا التعريف اللغوي بكثير من  
اللغات لكلمة (بطل) بأنّه الذي يبطل الحقّ وحق الحياة بسيفه ويده ولسانه.

وكان حلم كلّ أمير أو حاكم في الماضي أن يحمل لقب المجاهد المثاغر  
الغازي. وطرب النّاس لأخبار الأميرة ذات الهمة التي جاهدت في الثّغور. وبرز  
الأمير العربي سيف الدّولة الحمداني الذي استأثر بلقب مثاغر قرابة ربع قرن.  
وتوالى عليه المساعدات الماديّة والبشريّة لدعم جهاده ضد بيزنطة. ورفع من  
اسمه أشعار المتنبي التي جعلت فتوحه أهمّ من فتح المعتصم لعمورية. ولكن

صموده لم يطل فانهار بعد ضياع كريت وسقطت عاصمته حلب بيد بيزنطة  
ففرح بذلك جيرانه من الأمراء المسلمين بدلاً من أن يهبوا لنجدته. وكان ذلك من  
الأسباب التي تذرّع بها المعز لدين الله الفاطمي الشيعي لضم مصر وبلاد الشام  
بعد شماتة الحكّام من أهل السنّة بالأمير الشيعي الحمداني. ومات سيف الدولة  
قبل أن يُتاح لخصومه من المسلمين السنيين تقديمه للمحاكمة في قفص.

ويُعاني العرب اليوم، بل والعالم كلّهُ، من محور الشرّ الثلاثي الرّهيب  
الذي عزل نفسه بجدار وبحار ومحيطين. وتجبرّ أركان المحور واعتدّوا بقوّتهم  
الخارقة ويدهم الطويلة القادرة على القتل بفضل قوّة طيور أو طيران ساحقة  
تصيب الهدف بدقّة متناهية. وأتقنت دول محور الشرّ وسائل القتل الجماعي. وقد  
جاوز عدد الذين حرّره هذا المحور من الحياة بالقصف الجوي الودّي  
الديمقراطي المليون، الأمر الذي عجز عن الإتيان بمثله عتاءُ القادة المجرمين  
في التاريخ.

ونصّت سورة النساء صراحةً على عدم جواز الانتحار [ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ  
إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٥١﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَارًا ] . [ النساء:  
29- 30، مدنية]. وبيّنت سورة المائدة عدم جواز القتل الاستباقي بحجّة الدّفاع  
عن النفس: [ لِيَنْبَسُطَ إِلَيْكَ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ  
رَبَّ الْعَالَمِينَ ] [ المائدة: 28، مدنية]. وجعلت سورة الأنعام: [ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ  
نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ] [ الأنعام: 98، مكيّة] الناس كلّهم من نفس واحدة لا يحقّ لأحد منهم  
أن يقتل الآخر بسبب اختلاف الدم أو العقيدة أو اللغة أو اللون.

فلنطلب العدل والحقّ وحماية حياة الإنسان، كل إنسان، ليعيش بكرامة  
وحرية في كلّ مكان. نريد ذلك لأنفسنا ولكل بني الإنسان ولشعوب محور  
الشرّ أيضاً. ولا يمكن ضمان حقّ العدل والحرية لشعب واحد بل لا بدّ من  
تحقيقه لكل بني الإنسان، كل البشر مهما كان لونهم وعرقهم ودينهم. هذه هي

سماحة الإسلام كما أفهمها. وعندما كُسرَت ثنايا الرّسول  $\rho$  في معركة أحد رفض الرّسول اقتراحاً بالدّعاء على خصومه من الكفار قائلاً: «إنّ الله لم يبعثني لعناً وإنما أرسلني رحمةً وهدياً». فلنسر على خطاه ونتمسك بالأمل ولنحرص على إبقاء شعلة الأمل متوقّدة فلا يجوز دفن الأمل وإلّا دفننا أنفسنا والعالم معنا.

كان الخليفة العظيم الإنسان عمر بن الخطّاب حكيماً ورائعاً عندم أقدم على إعفاء أكبر قائدين من منصبهما وهما خالد بن الوليد وسعد بن أبي وقاص. وأكّد رحمه الله أنّه لم يعزلهما لذنّب ارتكباه وإنما حمايةً لهما وللجند من شعبيّة عسكريّة خطيرة. ورغم عزله لسعد فقد رشّحه أحد رجال الشورى السّنة المؤهّلين لإشغال منصب الخلافة.

وأقدم ترومان على عزل ماك آرثر ليؤكّد ما فعله عمر من ضرورة إخضاع العسكر للسلطة المدنيّة الحكيمّة. فإذا اختلت الموازين وضعفت السيّطرة المدنيّة على العسكر حدثت الكوارث.